

الهوية الاجتماعية: الذات الإنسانية والهوية الشخصية

Social Identity: Human Self and Personal Identity

رشيد بن راشد

¹ جامعة محمد بن أحمد وهران 2، benrached.rachid@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/07 تاريخ القبول: 2025/02/25 تاريخ النشر: 2025/03/04

ملخص:

تطرقنا سابقاً خلال ورقة بحثية إلى بناء الهوية الحديثة. وحالياً نحاول التركيز أكثر نحو إشكالية إيجاد المفارقات التي تفصل بين تداخل مفاهيم الذات والشخصية وارتباطهما بالهوية عبر التفاعلات الاجتماعية. وذلك بإبراز تلك التفاعلات بانعكاسها في ممارسات الفرد عبر المجالات الحياتية كاللغة والدين والثقافة، .. وغيرها. إتمدنا منهج المقاربة النوعية لدراسة أبعاد ومؤشرات الهوية الاجتماعية في بعدها الذات والشخصية. وتوصلنا إلى إمكانية إدراك الهوية بنفس الأسلوب التي نستطيع خلاله إدراك الذات. فهذه الأخيرة لها خصائصها وصيغتها المتنوعة، والذات من الهوية مثل الشخصية، لأنها تتضمن في ذاتها مدركات تصويرية للكلمات والأشياء المجردة، وتكون أيضاً مثل الرموز الثقافية، وتشكل وعياً لفئات إدراكية متجزئة للعالم الخارجي.

الكلمات المفتاحية: هوية اجتماعية، ذات إنسانية، هوية شخصية

Abstract :

During a paper, we discussed building modern identity. We are currently trying to focus more towards problematic finding the paradoxes that separate the intersection of self-concepts and personality and their attachment to identity through social interactions.

We have adopted a qualitative approach to study the dimensions and indicators of social identity in their own and personal dimensions. We came up with the possibility of perceiving identity in the same way that we could. The latter has its own diverse characteristics and tone, and identity, such as personality, because it itself includes conceptual perceptions of abstract words and objects, is also like cultural symbols, and forms an awareness of fragmented cognitive groups of the outside world.

Keywords: Social identity, human identity, personal identity

*المؤلف المرسل: رشيد بن راشد

1. مقدمة:

إنّ التحولات والتغيرات التي عرفتھا المجتمعات في عصر الحداثة وما بعد الحداثة؛ أدّى إلى توسّع مفهوم الهوية نتيجة الانفتاح العالمي، والحاجة لمعرفة ديناميكية هوية الأفراد والجماعات في ظل تنوّع اللّغات والثقافات وغيرها من مظاهر المجتمع، وكان "إيركسون" من الأوائل الذين ساهموا في لفت الانتباه حول ضرورة دراسة الهوية الفردية والاجتماعية بشكل منهجي منظم داخل المجتمع، وأصبح التركيز على الارتباط الذي يجمع ما بين نفسي واجتماعي، في تفاعلات معقدة تحصل بين الفرد والجماعة داخل المجتمع، فيرى "ألفرد فيشر" الهوية النّفسية الاجتماعية على أنّها نقطة التقاء بين الفرد والجماعة باعتبار أنهم يشكلون السبب والنتيجة في ذات الوقت (Guan, 2022, p. 03). فالوعي السلوكي الفردي تحدده الاختيارات، وسيكولوجية تفاعلات الفرد والجماعة هي نتيجة التنشئة الفردية، فالهوية عنده هي وعي الجماعة الذي يكوّنه الفرد عن ذاته في الحيز المجتمعي الذي نشأ فيه.

ولا شك أنّ مفهوم الهوية يندرج في الإطار العام ما بين الانتقال من المنظور الفلسفي ودراسة الذات الإنسانية إلى علم النفس الاجتماعي وتخصّصه في البحث

الهوية الاجتماعية: الذات الانسانية والهوية الشخصية

حول شخصية الفرد والتعمق في معرفة خصوصيات الانتماء إلى الذات. أمّا في علم الاجتماع أصبح ما يعرف لدينا بالهوية الاجتماعية متمثلة في علاقة هوية الفرد بالجماعة سواء من ناحية اللغة أو الدين أو الثقافة وغيرها من مظاهر المجتمع. في حين يرتبط مفهوم الهوية بالعديد من المواضيع مثل أزمة الهوية، والهوية الشخصية والهوية الثقافية وغيرها من المجالات الاجتماعية.

لكن الحديث عن الهوية بالغ التعقيد لتداخل عناصرها، فهي تحمل عدة معاني ورؤى من الناحية الاجتماعية والسيكولوجية. فهناك العديد من التساؤلات حول مبادرات الباحثين في إمكانية تحديدها وتفسيرها؟ ويأتي دورنا كذلك لتسائل حول الهوية، بداية من الرؤى الفلسفية إلى آراء المفكرين وذوي الاختصاص في مجال علم الاجتماع والنفس، وعن إمكانية رصد تعريف شامل لها، مع إيجاد المفارقات ما بين الذات والهوية الشخصية في ظل تعريف إبراز الهوية الاجتماعية؟ وعليه نقوم بطرح تساؤلات أخرى: ماهي مكونات وعناصر الهوية؟ وماهي المجالات التي تتداول هذا المصطلح بشكل كبير؟ ونتساءل كذلك عن كيفية بناء الهوية ودور الصورة الذهنية والنمطية لدى الفرد والجماعة في ظل تشكّل الهوية الاجتماعية؟

لقد اعتمدنا منهج المقاربة النوعية بقراءة تحليلية تعكس أسلوب الباحث في إبراز مؤشرات الظاهرة المتمثلة في الهوية منطوية في بعدها الاجتماعي، فقمنا بتسليط الضوء أكثر نحو المفاهيم التي خاض فيها الباحثين حول إشكالية الهوية، فالقتصر دورنا إلى السعي وراء تفكيك أجزاء تلك المصطلحات والمفاهيم لإعادة تركيبها وبلورتها بعد مناقشة أهم ما ورد عن الهوية الاجتماعية للوصول إلى مفهوم واضح يعكس البعد السوسيولوجي للهوية في مفارقة بين الذات والشخصية، اللتان هما البعدين الرئيسيين في بحثنا الحالي، للوصول إلى نتيجة معرفية تميّز بدورها عن الدراسات النفسية التي تطرقت إلى هوية الفرد في تفاعلاته الاجتماعية. الاجتماعية.

إنَّ الهدف من إجراء دراستنا الحالية؛ العديد من التدايعات والأسباب، منها البحثية والمعرفية للوصول إلى مفاهيم متكاملة حول إيجاد معارف متكاملة ومصطلحات توافق النسق الذي تنطوي عليه جلَّ الأطروحات التي تعكس عمق إدراك الهوية الاجتماعية في ظل الدَّات والهوية الشخصية. فالأهمية من إجراء هذا البحث؛ هو تسليط الضوء أكثر نحو تعزيز فكرة دراسة الهوية في بعدها السوسيولوجي بعدما كانت مرتبطة بالمنظور الفلسفي فقط. فأهمّية البحث حول الهوية ينطلق من متطلَّبات وحاجات تزامنت مع ضرورات العصر والتداول الكبير بين الباحثين لهذه المفاهيم والمصطلحات دون ضبطها معرفياً. والغاية البحثية كذلك؛ تنطلق من خلفية الباحث التي تبحث في مناقشة المواضيع من الجانب السوسيولوجي، وعدم الإنحياز إلى مفاهيم سابقة قبل تبلورها وتصبح لها مدلولات تعكس أبعاد ومؤشَّرات الهوية بشكل عام، والهوية الاجتماعية بشكل خاص. وفي خضمّ هذا كله؛ لقد تضمّنت دراستنا الحالية العديد من المفاهيم والمصطلحات أتت في سياق بحثنا، وعليه نشير إلى أهمّ المصطلحات الواردة لتمكين القارئ من الفهم بشكل أعمق وأوضح. ومن أبرزها هي كالآتي:

• هوية اجتماعية:

في معجم اللّغة العربية المعاصرة هوية بضم الهاء في الأوّل وكسر الراء؛ تعود إلى الضمير "هو". واجتماعية في اللّغة هو اسم مؤنث يعود إلى "اجتماع". والاصطلاح على عبارة "هوية اجتماعية" اتى ليعكس مدى إرتباط الذات الفردية بالمجتمع، كلّ ما يخصّ سلوكيات الفرد من حركات وسكنات وممارسات وتفاعلات عبر المجتمع (عمر، 2008، صفحة 218).

أمّا إجرائياً فتعريف الهوية الاجتماعية من خلال الدّراسة الحالية؛ فهو المنظور الاجتماعي الذي يبحث في هوية الفرد مبرزاً معه تدايعات الحاجة إلى فهم أعمق حول الأحوال الشخصية للأفراد في سياقات البحوث، على رأسها العلوم

الهوية الاجتماعية: الذات الانسانية والهوية الشخصية

النفسية والاجتماعية. فالكشف عن الهوية في طابعها الاجتماعي؛ ما هو إلا انعكاس عن دور مساهمات المفكرين والمتخصصين في هذا الشأن عبر عمليات بحث متعمّة لإبراز الهوية المجتمعية.

• ذات إنسانية:

تشكّل العبارة الحالية "ذات إنسانية" من شطرين: الأول ذات، في اللّغة العربية نكرة بدون ألف ولام، هي إسم مؤنث للضمير "ذو". أمّا اللفظ معرّفاً "الذات" تعود على الشخص نفسه. والشرط الثاني من العبارة "إنسانية" في اللّغة تعود إلى المصدر "الإنسان". ويقال إستأنس فهو مستأنس، فالإنسان هو من الأنس (عمر، 2008، الصفحات 239-245).

إصطلحت الدّراسة الحالية على مفهوم الذات الانسانية لإبراز مدى إنسجام وتوافق المعنى الذي يعكس البعد السيכולوجي لماهية الشخص، مقترنة بمكوناته النفسية قبل أن تترجم إلى فعل أو قول أو سلوك إجتماعي. والتعريف الإجرائي لمفهوم "الذات الانسانية" هو الحقيقة التي يسعى الفرد بحدّ ذاته والأشخاص الآخرين للوصول إليها من خلال المعرفة المطلقة بذات الشخص.

• هوية شخصية:

تنطوي العبارة على مفهومين: الهوية والشخصية، وبما أنّنا عرفنا الهوية لغوياً سابقاً؛ نسلّط الضوء نحو مفهوم الشخصية. لغوياً هو إسم مؤنث منسوب إلى مصطلح "شخص". ويقال شخص يشخص ومصدره شخاصة. وشخص بفتح الخاء في وسط الكلمة؛ يعني برز إلى الأفق، أو بدى من بعيد. ويقال شخص الشيء شخوصاً بمعنى على وارتفع ويقال شخص ببصره؛ بمعنى حدّق إليه (عمر، 2008، الصفحات 391-396).

في الإصطلاح غالباً ما يأتي مفهوم "هوية" مقترناً بعبارة أخرى كالشخصية أو الذات وغيرها..، وهي مفاهيم ومصطلحات تزايد تداولها في عصر الحداثة وما قبل الحداثة. يأتي هذا المصطلح كبديل عن التعريف بالذات الانسانية كدلالة عن البعد التعريفي بالفرد بين فئات المجتمع. أمّا إجرائياً وخلال دراستنا الحالية؛ فأنت العبارة "هوية شخصية" كمفارقة ما بين الذاتية والشخصية، لتعزيز إستقلالية المفاهيم عن بعضها وتلاقحها في البعد الاجتماعي. بعدما كانت منحصرة في البعد النفسي فقط.

2. مناقشة:

تحدث الفلاسفة كثيراً عن الذات والنفس ولم يصرحوا بمفهوم الهوية كما أصبح معروف لدينا الآن وكانت البدايات في البحث عن الحقيقة الداخلية للنفس لتفادي التشتت الذهني، نستخلصها من الجملة الشهيرة عند "سقراط": "أعرف نفسك بنفسك". وهي إحدى دعواته لمعرفة الذات الإنسانية والتعمق في النقيب نحو حقيقتها الكامنة بخصوص توجهاته ونواياه وأحلامه، فمعرفة الذات عنده هي أعلى درجات الحكمة. ولكن عند "أفلاطون" رؤية أخرى؛ في نظريته حول المعرفة وأن الحقيقة الذاتية تعود لتذكر النفس في نشاطها أثناء وجودها في الحياة المثلى، وقسمها إلى ثلاثة أجزاء؛ العاقلة والغاضبة والشهوانية، فالنفس هي وجدان روحي مستقلة عن الجسم من خلال رؤيته التي قدمها؛ واعتبرها المحرك الرئيس لسلوك الذات الإنسانية، وقد كان تلميذه "أرسطو" لمعرفة النفس وخصص لها علم منفرد يبحث عن مكوناتها، ودرسها في وحدة النفس مع الجسد لاعتبارهما أنهما جزءا يمثل الذات الإنسانية (Michael, 2021, p. 19).

ولقد تناول الفلاسفة المسلمون أيضاً موضوع الذات الإنسانية والنفس؛ فنجد "الفارابي" وتأثره بالفلاسفة اليونانيين في مسألة جوهرية النفس، ونظرته عن الهوية كونها الخصوصية المنفردة، والعينية الشخصية لذات الشيء الواحد في عدم المشاركة هي الذات نفسها دونما أي زيادة أو نقصان. وفرّق بين النفس والجسد في

الهوية الاجتماعية: الذات الانسانية والهوية الشخصية

اعتقاده أن العقل ربما يزداد قوة رغم اضمحلال الجسد في مراحل متقدمة من العمر، وابتعد عن الفكرة الأفلاطونية التي تقول بتناسخ النفس والجسد (حنفي، 2012، صفحة 123). وقدّم "ابن سينا" رؤيته معتقداً خلالها أن النفس ليست هي الذات؛ ويبرهن على ذلك عندما يشير الإنسان إلى نفسه "أنا" بضمير المتكلم، وعن نفس الآخر بضمير الغائب "هو"، وتأتي مسألة النفس من المسائل التي تعمق في دراستها، وأضاف على خلاف سابقه من الفلاسفة عن القوى الداخلية الإدراكية للنفس؛ وهما المصوّرة والوهم، وتمكن من تحديد طرق علاجية للنفس بالبحث عن الأسباب الدافنة عن طريق التحليل النفسي لها وارتباط جوهر الإنسان وعلاقته بالفاعلية مع ذاته، وفي الحديث عن الماهية والوجود يأتي إقرار "ابن رشد" واعترافه أن الحديث عن النفس من الإشكاليات المعقدة؛ فيقول عن وحدة النفس أن فاعلية العقل من إحدى وظائفها وليست خارجة عن ذاتها، وجعل للنفس عدة وظائف تنتهي بقبول المعاني استعداداً لعزلها عن كل مدرك حسي، واعتبرها جوهرية بذاتها لا تتجزأ إلى روحية ومادية (هانوم، 2009، صفحة 79).

وفي الفلسفة الحديثة عند "ديكارت" بأن الهوية الشخصية للإنسان تكمن في الفكر، وهو صاحب التوجه الشهير؛ يشك، يفكر، فهو موجود، ويرى أن العقل غير متساوي بين الأفراد، جعله منطلق يبرز فيه أهمية الفكر في معرفة حقيقة الذات، بمعنى الوصول إلى الهوية يستدعي تفكير العقل الإنساني الذي يميزه عن باقي الكائنات الأخرى، وفي نفس الوقت؛ ديناميكية ممارسة الشك والنفى والإثبات تجعل الذات متطابقة مع نفسها، فيما يعرف بالهوية الشخصية، أمّا عند "جون لوك"؛ أساس الهوية هو التجربة الحسية، وتحديدتها يتطلب استدلال الإنسان التفكير والرجوع للذات المفكرة بواسطة الوعي الحسي المرتبط بالذاكرة باعتبارها صلة بين شعور الماضي و شعور الحاضر، فهو يرفض الفكر المجرد من الإحساس والفصل بينهما، فالقصد هنا؛ أن الهوية الشخصية تتمثل في ذات الشخص المطابقة للنفس

ذاته المفكرة، ويأتي لنا "شوبنهاور"، في رؤية له من زاوية أخرى بخصوص الهوية وعدم تشكيلها من خلال الفكر أو الشعور المستمد من التجارب الحسية؛ لأنها قابلة لتغيير والتجديد، فالشعور والأفكار الماضية ليست هي الحاضرة أو نفسها مستقبلاً، والذاكرة أيضاً معرضة للتلف والضياع في بعض الحالات، تبعاً لمجموعة من الأحداث والمواقف اليومية التي تعترض الإنسان، وفي المقابل يرى أن الإرادة هي الشيء الجوهري والمكون الثابت عند الإنسان؛ لارتباطها بالغريزة والرغبة في الحياة، بمعنى أن الشخص لا يستطيع فعل غير ما يفعله، وبالتالي هي أساس الهوية عند الإنسان (Hung, 2021, p. 06).

وفي المفارقات الثقافية؛ لدينا "ستيوارت هول" ونظريته حول الهوية الثقافية، بأن المجتمعات أصبحت تعيش انبثاق هويات متجددة لعصر ما بعد الحداثة، والذات تمتلك هويات متنوعة باختلاف الأزمنة التي تمر عليها، متناقضة ومتغيرة ومتنقلة باستمرار، تنطوي على انتماءات ثقافية وقومية وحركات اجتماعية فسحت المجال لتعدد الهويات لتشبع الكثرة والتعدد بدلاً من الوحدة، والتغيير والتحول بدلاً من الاستمرار، لتكون نوعاً من التأدية في المجتمع. (Jingert, 2025, p. 32) فالهوية الثقافية أصبحت نافذة إلى كل المجتمعات، وفي المقابل كانت محاولات "زجمنت بومان" في التعمق أكثر نحو مقارنة للهوية الثقافية تنطوي في فكرته عن الحداثة السائلة، بأنها قابلة للتجزئة؛ بل متغيرة وغير ثابتة أساساً، يعني تخضع لمسألة الاختيار، دون أن تكون ضرورة تسير وفق انتظام منسجم عند الأفراد والجماعات، فلديهم الاستطاعة بتغيير الهوية حسب ما يرغبون إليه، وهذا ما ذهب إليه "بومان" في حديثه عن السيولة التي تعيشها المجتمعات، ومن جهة أخرى حاول "تشارلز تايلور" إيجاد مخرج نظيري متعلق بالهوية والمفارقة التي تخص المقابلة ما بين الأفراد والجماعات، وبين حريتهم في نظير الاستلاب، وهذا بتقديم التصور الذي يلتمس الاعتراف بالجماعة داخل ذات الأفراد، واجتناب طمس الجماعة لهوية

الهوية الاجتماعية: الذات الانسانية والهوية الشخصية

الأفراد، بعيداً عن وجود هوية بدون التزام داخل الجماعة، فيرى "تايلور" أنها الهوية تنمو وتتشكل لعدد من الملامح بالرغم من وجود هويات متعددة مشتركة سلسلة غير منغلقة، وفي نفس ذات الوقت تكون منفتحة على المجتمع (Jingert, 2025, p. 33).

ولهذا يذهب البعض إلى اعتبار التداخل بين البناء المعرفي والثقافي في تشكل الهوية وتمثيلها، أمراً يدعو للوقوف عنده، لأن تمثل الهوية نابع عن ممارسة إرادية ذاتية واعية لا تستدعي الحتمية وتدخل الذاكرة التاريخية، وذلك ما أكد عليه "تايلور" في عدم إمكانية تحقيق الغائية لبناء الهوية إلا إذا تمت الإحاطة بكلّ المصادر في تنوعها، ويرفض الرؤى الاختزالية التي تركز على مصدر واحد. فالفكرة تختلف عن التمثيل وخصوصاً عندما نجد فكراً باقياً على هيئته، رغم اختلاف هوية من يحمل هذه الفكر، بمعنى يكون المضمون مستقلاً عن الذات التي تحمله، وعلى كل حال وإن صح هذا الطرح بنسبة، فإنه لا يختزل التمثيل في حالته التي تشكل ردة الفعل في خلاف الفعل بحد ذاته، والانفعالية في الرد هي غالباً حالة ذاتية آلية غير مدروسة مسبقاً، وتغير طابع الهوية بتغير معطياتها الواقعية (رشيد، 2022، صفحة 776).

ويجب التنويه على أن التركيز لتمثل الهوية من ناحية المصادر المكونة لها وما تم طرحه سابقاً، يدعونا إلى التأكيد على الأهمية اللغوية في سياق البحث عن مقومات الهوية، فمن غير الممكن تحقيقها بعيداً عن اللغة ولا تكون هناك صياغة لهذه الأخيرة دونها باعتبارها مكونات وعناصر تتشكل داخل وعاء اللغة الذي تتجسد فيه الهوية. وليس من الجدل اعتبار أول خطوة ننطلق منها لقراءة الهوية وتحديد جوانبها، والإقرار لها بمكانتها في مجتمع أمسى لا يرى إلا الإقصاء والاختزال؛ بدل إعادة الاعتبار للغة من جهة الامتداد المكاني والزمني في جعلها تسهم في بلورة الخطاب الحضاري وتحقيق متطلبات الآخرين نحوها، لأن بناء الهوية في العصر الحديث لا يتم إلا إذا توازنت فيه الذات مع الإنسانية، والمكون الذاتي هنا هو اللغة. وكذلك لا

يجب أن نغفل عن دور اللغة التي يتم عبرها تناقل الذاكرة التاريخية التي تحمل معها هويات تلك الحضارات، مع عدم إقصاء أي مكون لها، ومن غير حكم سابق للهوية نريد إثباته من خلال تلك الذاكرة، واختيار الملامح التاريخية والحضارية التي تترسم على تجسدها، لأنه يعتبر تعدي على خصوصيات الهوية وتلاعب على الذات، وفي الجزئية القادمة سوف نتعرف على الهوية بإيجاد مقاربة عبر الذاكرة التاريخية (رشيد ب..، 2023، صفحة 77).

تنعكس الذاكرة في المسار التاريخي لذات الإنسان وأفعاله الغريزية التي يتشابه فيها مع باقي الكائنات الأخرى، وهي خزان تجاربه التي يراقب فيها ذاته، مثل مرآة تعكس ما قدمه من إبداعات إنسانية وتكريس تقاليده في المجتمع. والذاكرة من الناحية الاجتماعية هي (الرحم الثقافية)، ومن الواجب وصلها في ممارسة التقاليد التي تساعد على بناء ما يسمى بالهوية، والرؤية التاريخية تشهد على المكون القوي في ممارسة هذه التقاليد والمحافظة عليها كان دوماً هو الذاكرة. في عموم المستويات بداية عند الفرد على ثقافة المجتمع. ولم يكن من الواضح قبل التدوين عن طريق الكتابة انه بالإمكان التمييز بين ذاكرة الفرد والثقافة، فلقد أتاحت لنا الكتابة الحصول على مخزون ثقافي بخلاف باقي الكائنات الحية، وهذا ما جعل الذاكرة التاريخية والثقافية قوتيهما تتراوح ما بين القوة والضعف؛ تزداد أحياناً عند مفهوم، وتضعف لمفهوم آخر (رشيد ب..، 2023، صفحة 517).

فمن غير الممكن أن تتجسد الهوية بعيداً عن الذاكرة التاريخية، ومع العلم أن هذه الأخيرة لا يتصور أن تكون بدون اللغة، عن طريق المشافهة أو الكتابة حسب الفروق بينهما، فالأولى هي لغة الذاكرة التاريخية للثقافة الجماعية التي تعزز الهوية لغاية تمجيدها، والثانية هي لغة الثقافة الجماعية والفردية التي تعزز الهوية الذاتية في فحواها ضمن البناء الجمعي بالإيجاب أو النفي، وقد يكون من أهم الفروق بينهما؛ هو الفارق في المسألة التواصلية، فعن طريق المشافهة يضمن جزءاً كبيراً من

الهوية الاجتماعية: الذات الانسانية والهوية الشخصية

الاتصال الجماعي الذي يسهل عملية التواصل بين أجزائه على خلاف المستوى الثقافي والعلمي والاجتماعي في ممارسة طقوسها، وعلى العكس فهي لا تضمن بقاء الهوية، وتكون عرضة لحدوث استئصال لها. وبالنسبة لنقل الذاكرة عن طريق الكتابة؛ فيزيد من حظ بقاءها وصلابتها في مقاومة اندثارها، لكنها في المقابل تضعف من نسبة التواصل الجماعي الحقيقي لحساب التواصل الافتراضي وزيادة صعوبة الاتصال لوجود فوارق معرفية وتعليمية، واختلاف التخصص والثقافة بين أفراد المجتمع. وهنا نتحدث عن التدوين الكتابي، لكن ما يزيد الأمر تعقيداً؛ إذا نظرنا إلى المستوى التقني في الظروف الجديدة لتطورات الوسائل الاتصالية الحالية، وهذه الإشكالية سوف نخصص لها جزئية كي نتعمق أكثر في التفصيل (رشيد ب.، 2022، صفحة 779).

وحديثنا عن اللغة والذاكرة التاريخية وعلاقتهما بالجانب المعرفي والثقافي كمصادر لبناء الهوية؛ يستدعي بالضرورة طرح الجدل القائم ما بين الهوية والدين والعلاقة التي تربطهما في التغيرات الثقافية والتحولت في النظم الاجتماعي. فالهوية ليست إلا انعكاس الذات الإنسانية في الوظيفة الحياتية بواسطة الموروث الثقافي، يضمن الوجود البشري على شكلين؛ البنيوي والوظيفي، فالأول تتمثل فيه صور الحياة المنتظمة للجماعات داخل المجتمع. والثاني يتحدد فيما تتفق عليه العقول الجمعية، فلكل فئة مصدر تنبثق منه مبررات وغايات الفعل الاجتماعي، في حين يكون المضمون الثقافي الذي يتشكل فيه الفهم وينتج عنه كل سمات المطابقة بين المجتمعات والشعوب، وقبل التنويه على الأهمية ذاتها، وجب الإدراك بان الهوية ليست هي الخروج عن الطابع البشري، أو جعل جماعة تعلوا عن الأخرى وتلغها في المجتمع، فالنوع البشري في طابعه العام لا يكون ترتيبه عمودياً في وجود مبررات الهوية (رشيد ب.، 2024، صفحة 78).

طالما كان الدين محركاً للهوية والاستعمال الوظيفي لها على ممر التاريخ، ومن أهم ما استوعبته الذات الإنسانية في رحلة البحث عن هويتها ووجودها؛ هو السؤال عن ذاتية الذات ليكون لب الاستفهام. يقودنا هذا الطرح لفهم الوجود الإنساني الوقوف أمام جانبيين؛ المادي والروحي، فهناك من يتفق على الوجود الحسي والمادي على وجود الإنسان وتمثله في الجسد، فيحكم عليه من خلال المظهر المادي المحسوس، وحصر فاعليته في حدود المادة فقط، وقد أشار ذلك (ديزموند موريس) في وجه نظره، بأن البحث البيولوجي هو السبيل الوحيد لفهم سلوك الإنسان. أما بالنسبة للجهة الثانية، فتذهب إلى حد النقيض في رؤيتها حول معرفة الوجود الإنساني، وإدراجه في المجال الروحاني للوجود، والوصول إلى ذلك عن طريق الدين (هانوم، 2009، صفحة 92).

فالدّين عندما ننظر إليه من زاوية الهوية؛ هو نظام اجتماعي ثقافي، يتحدد ابتداء من ديناميكية الإنسان داخل الجماعة، ويمارس كوظيفة اجتماعية ثقافية ويتحقق بالمشاركة في الفعل لدى الأفراد، وتبقى وظيفة الدين متعلقة بفهم مسلماته، والجدل في تأصيل مصادره وتحصيلها، وممارسته قائمة ببقاء المجتمع، فيصبح موحداً من ناحية النظام الوظيفي الثقافي في الحياة الاجتماعية، ومختلف ومتباين المنشأ، فالجدل قائم ما دام هناك فارق في موائمة الفكر وتجسيده في واقع الحياة. ويتفق عند أغلب الدارسين الاجتماعيين؛ هو انتماء الدّين إلى ثقافة المجتمع (ظاهرة ثقافية)، واعتبار له سطوة في التنظيم والفهرسة لمعاني الرموز، وتوجهاً من الفهم للفعل الاجتماعي، يتجسد في التواصل الجماعي والعمل على إحقاق التوافق بواسطة الخبرة وتناقلها بين الأفراد والجماعة باستخدام اللغة والرموز والانفعالات المشتركة، فيتكوّن المعتقد الدّيني، فيكون التعاون بين عقول الجماعة في صبغة تجارب تناقلاً حتى عبر الأجيال المتلاحقة، فتكون دافعا ميكانيكيا لترابط الفرد بالجماعة، فيعتبر الدّين إيمان راسخ وثابت يتجسّد في الأفعال الممارسة، فهو

الهوية الاجتماعية: الذات الانسانية والهوية الشخصية

طقوس تمثل التجارب الانفعالية للمعتقد، يتم ترميزها في نصوص موثقة كمرجعية يُقَيّد فيها الدين والمعتقد والطقوس، وبالتراكم يصبح هوية لدى الأفراد والجماعة في المجتمع (حنفي، 2012، صفحة 133).

وفي مقارنة بين الذات والدين والهوية، يرى البعض أن الإنسان المتدين يكمن في الشخص الذي يحمل سلوكاً نابعاً من قيمة عليا (خشية الله)، وفي المقابل يوجد شخص يماثله في السلوك، لكن قيمة دنيوية (خشية الناس)، فهو شخص أخلاقي في مقابل الشخص المتدين، ومن هذا المنطلق بدأت العلوم الإنسانية تحاول أن تحسم الجدل بين الإيمان والعقل، باعتبارهما مقتضيين في المجتمع، وثقافة مواطنة في نظام رمزي مبرر للوجود الإنساني، يقوم على الحاجة إلى دمج الروح الجماعية لمستوى يكون على الأقل حتمي لواقع فرضته التجربة الاجتماعية، وإن لم يكن له مبرر فلسفي، يكون له وجود عملي. وفيما سبق تحدثنا عن منطلق الثقافة والكفاءة في تقويم الأفراد ضمن السياق الرمزي، الذي يتحقق من خلاله الانتماء المجتمعي والفضاء العملي (حنفي، 2012، صفحة 178). وعند استقراءنا للتجربة الغربية في توطين الثقافة؛ نجدها أنها لا تتحقق بإلغاء الدين ومقدساته وتأويل التاريخ، لأن المظاهر الخالصة للدين لم تعد موجودة، وأصبحت ظاهرة اجتماعية ذاتية، وذات طابع تاريخي، وهذه النتائج لم تكن في مطلقها بالأساس، لكون ذلك مجرد طرح فلسفي وضعي، وبطبيعة الحال فالعالم الثقافي بقي يعمل على ترميز برامج واستبدل وضعاً بوضع، فتم التوصل إلى نتيجة مهمة تتمثل في تحديد الثوابت والمتغيرات في قضايا الدين، فالثابت هو النظام الثقافي الإجمالي في عالم الإنسان، والمتغير عبارة عن صفات اسمية لوظائف الدين ووظائفه، فغالبية الذين لا يقرون بدين، يجدون أنفسهم متدينين دون علمهم، متعلقين بعقائد تعود لأصول دينية، ودعا ذلك لمراجعة الحقل الديني وإعادة النظر في موضعه في الحيز الثقافي الذي أنتجه الإنسان في المجتمع (رشيد ب.، 2022، صفحة 772).

رشيد بن راشد

ويمثل التوطين الثقافي إرغاما اجتماعياً يقصر على التوفيق بين ما هو مقدس وديني، في حضور الإيمان والعقل معاً، وكانت الاستجابة من النظام الثقافي طوعية بمرونة تنطوي بالضرورة ضمن حدود التجمع البشري، الذي يفرض المساهمة في حركة البناء الوظيفي للمجتمع ونسقه الثقافي، بعيداً عن إيجاد مكان الدين بديلاً غيره، فإن الثقافة تركت الدين من ناحية الوظيفة البنائية، وقامت بإعادة إنتاج عملي في سياق مراقبة سيره والسماح بتعدد الرؤى حوله، في مسعى ثقافي يبتعد عن الإلغاء الكلي للدين، بل جعله حاضراً يتحقق في الفعل والعمل، نتج عن ذلك حركة قوية ذات طابع اجتماعي جديد، كانت تدعوا لفتح فضاء ثقافي شامل، فكان الديني والعلمي يتضامن في حدود العقل، وتحقيق مفهوم المواطنة في طابع ثقافي منبثق عن رمزية الفهم، وانجاز العمل تطبيقاً فعلياً. وانطلاقاً من هذه النقطة، فإن مكون الهوية ليس عنصراً واحداً نحدده فقط في المستوى الديني أو الانتماء القومي؛ وإنما هي مكونات مترابطة اجتماعياً بالضرورة تساهم في تشكل الهوية، ومن الممكن أن تكون أكثر هذه الروابط هي العيش في نفس المساحة الجغرافية وتحديد المصير والمصلحة والتاريخ المشترك.

والحديث عن القومية (الوطنية) يحيلنا إلى الجانب السياسي في المجتمع، فهي رؤية لها جذور فلسفية بنظرة علوم إنسانية، تقسم تجمع الأفراد إلى أمم تتميز عن بعضها البعض، مجموعات لها خصائص وكيان يعتمد في شرعيته على انتمائه إلى هذه الأمة، وتطابق الفئة السياسية والقومية يحقق بما يدعى بالهوية القومية التي تنعكس في وجود دولة محددة. فهي تسعى لكسب حرية والحفاظ على الروح الجماعية برفع المستوى الاجتماعي للأمة. والبعض يرجع مفهوم القومية لفترات بعيدة، وأما المفهوم الإيديولوجي للقومية يعود نسبياً إلى (عصر الأنوار) في الفترات الزمنية الممتدة ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر، تبدت ملامحها في أطروحات وأفكار الفلاسفة المؤرخين مثل الألماني "يوهان فيشته" (1808)، والفرنسي "شارل

الهوية الاجتماعية: الذات الانسانية والهوية الشخصية

مورس" (1868-1952)، تجسّدت بعد استقلال أمريكا والثورة الفرنسية، ليصبح انتشارها واسعاً في أرجاء أوروبا في القرن التاسع عشر، لتشمل جميع أنحاء العالم في القرن العشرين. ولتطور مفهوم القومية في عصرنا الحديث تداعيات كثير منها الغائية في التحرر، وساهمت في تطور المفهوم عوامل أخرى؛ مثل التصنيع والعولمة الثقافية والحداثة. وفي الغالب اصطلاح مفهوم القومية يكون مرادفاً للأمة، وأن هذه الخيرة بحاجة إلى الولاء المطلق للأشخاص المنتمين لها (حنفي، 2012، الصفحات 98-112).

ومفهوم الهوية القومية في بعده المعرفي يعكس مدى التعمق الواعي في دمج التحرر القومي، سواء من السلطة الخارجية، أو الفئات التي تسود هيمنتها في المجتمع. وهنا نستدعي الرؤية الماركسية في منظورها حول المادّية التي تمثل التجسد العملي لروح القومية عند الفئات الكادحة، والأکید أنه لا يمكن تحقيق القومية إلا في وجود رؤية متكاملة الملامح، تكمن في الحدود الجغرافية والنزعة التي تنطوي ضمن المشتركات الواحدة، وتتمثل في اللغة والعرق والثقافة والتاريخ الواحد، تكون في فئات مجتمعة تمثل الأمة، ويوجد العديد من المؤشرات التي تُبرز تطور الأفراد كحقيقة اجتماعية وكذا مراحل تطور تاريخ الجماعات، تنم عن هوية جماعية، والذاتية سابقة في وجودها تتمثل في الهوية الفردية، فكلتي الهويتين تتداخل في حدود التعايش المشترك داخل المجتمع (رشيد ب.، 2024، الصفحات 52-57).

3. خاتمة:

في خضم التعريفات السابقة؛ نلتبس بأنّه في الوقت الراهن أصبح مفهوم الهوية مرتبط في الأساس بمظاهر نفسية ذاتية وجماعية اجتماعية في إطار القومية والثقافية داخل المجتمع، لانطواء ذلك على عوامل عديدة، أهمها الذاكرة التاريخية واللغة والدين. حاول العديد من المختصين تصنيف وتحديد أنواع الهويات في عصر ما بعد الحداثة، وإبراز أبعادها ومؤثراتها، إلا أن تواجد تداخل فيما بينها أفضى إلى

مزيد من التعقيد في المسألة، ولهذا سوف يتم تسليط الضوء نحو مقومات الهوية في الوقت الراهن للمجتمع الحديث.

إن الحديث عن مصادر الهوية يستلهم إدراك أهمية تأثير التكوين المعرفي والإرث الثقافي في تشكل الهوية لدى الأفراد في المجتمع، فتلقي المعارف والأنشطة التعليمية. وتعتبر الآليات الداخلية للأفراد التي تبني الحياة الوجدانية بتنظيمها كل المدركات والمعلومات المتحصل عليها في مسار سياق معرفي متكامل، وهي معلومات متنوعة ومختلفة بمعنى داخلية وخارجية؛ الأولى تنم عن الأحاسيس المتجسدة والمشاعر الذاتية التي يرصدها الإنسان عن طريق التأمل والتفكير، وأمّا المعرفة الخارجية تكون عبر المدركات والتصورات عبر المعلومات المتعددة، ومنها ما ينبثق من ذاته ويكون مصدرا لإدراك الهوية الذاتية. وبالنسبة للمصدر الثاني (التكوين الثقافي) يكون أصلا نابعاً أثره في أساسيات الثبات التي يجسدها على الهوية، ومحددات التجديد التي يمررها من ناحية القابلية والتمثل وفق حاجات العصر الراهن، وتماشيا مع تقمص الشخصية داخل المنظومة الاجتماعية والتي تمثل كمؤسسة يبني فيها كل فرد هويته على طريقته في المجتمع.

قائمة المراجع:

- حسني حنفي. (2012). *الهوية*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- رشيد بن راشد. (2024). المواطنة وتداعيات تشكّل المجتمع الرقمي: رؤى ونهجيات. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية*. 60-47, 11(01),
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2022). القيم الاجتماعية في بناء الهوية الحديثة. *مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية*. 770-781, 06(03),
- رشيد بن راشد، حسنية لحاج. (2023). القيم الاجتماعية والقيم التكنولوجية: رؤية تحليلية. *المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات*. 510-524, 06(03),
- رشيد بن راشد. (2023). البعد التاريخي للصورة: من النمطية إلى الصورة الذهنية. *مجلة الحكمة للدراسات التاريخية*. 74-88, 11(01),
- أحمد مختار عمر. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. القاهرة: عالم الكتب.
- كيلي م، هانوم. (2009). *الهوية الاجتماعية*. السعودية: العبيكان للنشر.
- Guan, M. (2022). Social Identity Theory. *The International Encyclopedia of Health Communication*, 01-05.
- Hung, J. (2021). A Literature Review of Online Identity Reconstraction. *Frontiers in Psychology*, 12(03), 01-10.
- Jingert, P. (2025). Identity and MIgration in the Open Science Era Lessons Learned from Registered Reports. *An International Journal of Theory and Research*, 25(01), 31-43.
- Michael, G. (2021). Why Human Subjects Research Protection is Important. *Ochsner Journal*, 16-33.